اللغوية، بل ربما كانت مجرد اجابات على أسئلة وجهها إليه سيبويه عندما بدأ يفكر بتأليف كتابه، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى الخليل فقد يكون هو نفسه بالنسبة إلى يونس بن حبيب، لكنه بالتأكيد ليس على النحو نفسه بالنسبة إلى أبي عمرو بن العلاء الذي لم يأخذ عنه سيبويه مباشرة على ما يبدو. ان هذا يقودنا إلى البداية، أنه لا معدى عن الذهاب إلى أن هؤلاء جميعاً كانت لهم كتابات في النحو ككتاباتهم في اللغة، وهو أمر يدعمه أن سيبويه يورد للخليل على سبيل المثال آراء في سائر أبواب النداء وبشكل مترابط أحياناً مما يشجع على الاعتقاد بأن الخليل وغيره كانت لهم كتب نحوية وان موجزة بغضّ النظر عما تذكره مصادرنا عن ذلك من أمثال ابن النديم وطبقات النحويين، وقد أثبت سيزكين أن فرضية الرواية الشفوية التي سادت فترة طويلة لا تجد سنداً قوياً في الواقع، إذ اعتمد جميع المصنفين تقريباً على مصادر مكتوبة وفي مختلف التخصصات[1].

على أي حال علينا أن نبدأ مع سيبويه ما دامت التطورات السابقة قد ضاعت تقريباً، ولا يمكن تلمّس آثارها إلا من خلال سيبويه نفسه، من طريقته في التأليف والتركيب ومن الاقتباسات التي يذكرها عنهم.

يقسم سيبويه مبحث النداء إلى «أبواب» بحيث تتحول كل مسألة من مسائله إلى «باب». ويختلف التقسيم هذا عن تقسيم الفقهاء الذين يعتبرون الباب رأساً ينقسم إلى فصول، كما يختلف عن تقسيم المحدّثين الذين يعتبرون «الكتاب» رأساً ينقسم إلى «أبواب» لكن صيغة العنوان هي الصيغة التي كانت معروفة عند المحدّثين، وهي تبدأ بـ «هذا» مثل «هذا باب النداء»[2] و «هذا باب لا يكون الوصف المفرد فيه إلا رفعاً»[3].

هكذا ينقسم النداء إلى حوالي خمسة وعشرين باباً تتركز في الواقع عند النحاة المتأخرين في المنادى المبني والمنادى المعرب وأقسامهما، ثم الندبة والترخيم. انه

(١) فؤاد سيزكين: تاريخ التراث العربي جـ ٢ ص ٧٦ ـ ٨٧ ترجمة أبو الفضل ١٩٧١.
(٢) سيبويه: الكتاب جـ ٢ ص ١٨٢.
(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٨٨.